ظاهرة كراهية الإسلام

(تحديات ومواجهات)

أ.د/ جعفر عبد السلام(*)

مقدمة:

من المؤسف أن نجد ظاهرة كراهية الإسلام تتجدد بعنف ربما منذ منتصف القرن الماضى وحتى الآن ، هذه الكراهية أدت إلى ظاهرة الإسلام فوبيا كما تسمى فى الغرب الآن وفى الولايات المتحدة على الخصوص(١).

وتعنى ظاهرة كراهية الإسلام تلك الحركة التى تسود فى كثير من أقطار العالم والتى تكيل التهم للإسلام والمسلمين، وتصورهم بشكل غير حقيقى .

وقد وصلت هذه الظاهرة إلى قمتها فى السنوات الأخيرة- بعد أحداث ١١ سبتمبر على وجه الخصوص- فوجدنا مؤلفات ورسومات وصور وأفلام سينمائية تصور وتحتوى على معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين .

وقد عبرت هذه الظاهرة عن نفسها فى العديد من الكتابات الصحفية والنشرات والتعليقات الإخبارية ، كما تجلت فى إصدار مؤلفات أو إعادة نشر مؤلفات أخرى هاجمت الإسلام وعبرت عن كراهيتها له .

كما أثار ما نشر فى الصحيفة الدانماركية (يولاندز بوسطن) من رسوم مسيئة للإسلام ورسوله ﷺ، وتصويره بأنه إرهابى ، ردود أفعال واسعة ومظاهرات غاضبة بين المسلمين فى مختلف أنحاء العالم ، بل وصل الأمر بهذه الصحيفة إلى أنها أجرت

(*) أستاذ القانون الدولى، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

(١) من الملفت للنظر أن نجد هذه الظاهرة فى داخل العديد من الدول الإسلامية نفسها، ونذكر مثالا على ذلك "مصر" ففى التعديلات الدستورية التى جرت فى بلادنا أخيراً عندما تقدم الرئيس حسنى مبارك إلى الحياة السياسية بمقترحات لتعديل بعض مواد الدستور وتم الاستفتاء عليها فى أواخر شهر مارس ٢٠٠٧ جرت مناقشات واسعة حول ضرورة تعديل المادة الثانية من الدستور والتى تقرر بأن دين الدولة هو الإسلام وأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيس للتشريع، فالبعض يرى ضرورة إلغاء هذه المادة ؛ لأنها تعبر عن إقصاء =

مسابقة بين قرائها لاختيار أكثر الرسوم تعبيرا عن إرهاب الرسول (وانتفضت العديد من الصحف التى تصدر فى أوروبا تساند الصحيفة الدانماركية وتعتبر ردود فعل المسلمين ضدها بمثابة إرهاب فكرى تمارسه مجتمعات لم تعرف أى نوع من الحرية ولم تألف حرية التعبير وهى أعز ما تتمسك به أوروبا فى حياتها .

ولعل من أشد الظواهر التى تعبر عن هذه الكراهية تلك المحاضرة التى ألقاها البابا بندكت السادس عشر فى جامعة ريجنزبورج اللاهوتية بألمانيا مسقط رأسه، وكانت يوم السادس عشر من سبتمبر عام ٢٠٠٦ م ، فى ذكرى ضرب برجى التجارة العالميين فى نيويورك ، من قِبل من يزعمون أنهم جماعات إسلامية ، بل فى نفس اليوم الذى كان يعقد فيه مؤتمر دولى فى كازخستان لزعماء الأديان العالمية من أجل تعميق الحوار والتفاهم بين كافة الأديان . أقول : إن هذه الحملة ضد الإسلام والتى تتهمه بالإرهاب وتتهم أهله بالتحجر والجمود وكراهية الآخر، بدأت تتزايد بشكل كبير حتى أنه لا يمر يوم دون إضافة تهم وأوصاف جديدة تنال من الإسلام وأهله.

والواقع أن مثل هذه الادعاءات تسىء إلى الإسلام والمسلمين وتؤدى إلى تأجيج الكراهية لهم، مما ينذر بعواقب سيئة على العلاقات الدولية، والعلاقات مع الغرب على وجه الخصوص، وإلى فتح ملفات مغرضة تسىء إلى الدول الإسلامية، وعلاقاتها بالمجتمع الدولى كذلك .

= غير المسلمين من التسيج الدينى والاجتماعى للمجتمع، وكثيراً من المسلمين من اتجاهات عديدة أيدوا حتى الاتجاه الذى دعمه الكثير من الأقباط فى مصر والذين وجدوا فى الحماية الأمريكية الموجودة بشكل أو بآخر لهم فى مصر منفذا لكى يعبروا فيه عن فكرهم بشجاعة وجرأة ما كانت لهم من قبل وسمعنا لأول مرة تفسيرات عن فكرة المواطنة التى أرستها المادة الأولى من التعديلات تجعلها تُعنى بالمساواة بين كل المصريين فى الحقوق والواجبات وهو ما كان مفتقد فى رأيهم .والواقع أن المناقشات دلت على وجود كراهية للإسلام بين طوائف عديدة ممن يدعون أنهم مثقفون، وهم فى الواقع لا ينتمون إلى الثقافة بأى قدر ؛ لأن الإسلام هو دين الغالبية العظمى فى مصر (٩٠٪ تقريباً) والدول الأقل فى نسبة سكانها من ذلك تعتبر دولاً إسلامية، وتدخل منظمة المؤتمر الإسلامى، كما أن الشريعة الإسلامية هى نظام قانونى من الأنظمة السائدة فى العالم وهى النظام اللاتينى والأنجلوسكسونى والجرمانى؛ وبالتالى فهى لاتتضمن أى إقصاء لغير المسلمين من المجتمع، وقد دللنا على ذلك مرارا واستشهدنا بالصحيفة التى وضعت فى السنة الأولى من الهجرة وألحقت غير المسلمين بالمسلمين وأعطتهم حرية العقيدة صراحة . راجع دراستنا عن "نظام الدولة فى الإسلام" ص ٣٠ وما بعدها.

إن تأييد العالم للموقف الغربى من ملف إيران النووى مسألة تدعو إلى السخرية، فإيران لا تريد أكثر من امتلاك سلمى للطاقة النووية لاستخدامها فى تطورها وغدها ومع ذلك وقف العالم موقفا رافضا لامتلاكها لهذه القدرات، مع أن إسرائيل القريبة منها تمتلك القنبلة النووية، ومع ذلك تعامل معاملة مختلفة من قبل الغرب ومن قبل الأمم المتحدة والوكالات الدولية المعنية بالطاقة النووية .

وهكذا نجد أن ظاهرة كراهية الإسلام ، ظاهرة قديمة ولكنها تتجدد خاصة فى هذه الآونة ، لقد تطورت وسائل الاتصالات وكثرت فى هذه الآونة ، وأصبح ما يحدث فى مكان نجده يُرى ويُسمع فى كل مكان فى العالم بفعل ثورة الاتصالات وثورة المعلومات التى اجتاحت عالمنا وأثرت فيه تأثيرا بالغا ، وبقدر ما كانت ثورة الاتصالات والمعلومات بردا وسلاما على البشرية ، بقدر ما أدت إلى نتائج بالغة السوء على أجزاء كبيرة من العالم ، وبالنسبة لعالمنا الإسلامى فإنه قد أصبح بالإمكان تبليغ دعوة الإسلام بسهولة ويسر إلى كل مكان .

لقد كان المسلمون يرسلون الجيوش فى الماضى بقصد تبليغ الدعوة وحماية حرية العقيدة للناس ، حتى يسمع الناس كلام الدعاة ويقبلون أو يعرضون على العقيدة الجديدة، أما اليوم فإن هذه المهمة يمكن أن نؤديها كمسلمين من خلال وسائل الاتصالات الحديثة ، ومن خلال الشبكة الدولية للمعلومات ومن خلال المحطات الفضائية التى يملك العرب والمسلمون الكثير منها، ومن خلال الكتب والمجلات التى أصبح بالإمكان طباعتها بشكل جيد وبسرعة فائقة .

لكن من ناحية أخرى ، أصبح من السهل نشر بذاءات وأكاذيب وإساءات إلى الإسلام ورسوله ورموزه ، وللأسف فإن العصر الذى نعيش فيه يسمى عصر الأكاذيب ؛ فلم يسبق أن سمع الناس وشاهدوا مثل هذه الأكاذيب من قبل .

وعموما فإن السيطرة هنا للأقوى، وأقصد الأقوى فى مجال إعداد رسالة إعلامية جيدة تشرح أفكاره ودعوته وتبثها بوسائل متطورة وفى أسلوب علمى يتناسب مع هذه الوسائل الجديدة .

من هنا كان تفوقهم علينا فى نشر الأكاذيب عنا، وفى تشويه الإسلام والمسلمين بدعاوى وأراجيف كثيرة على هذه الوسائل، ومن هنا انتشرت أكثر ظاهرة كراهية الإسلام ـ الإسلام فوبيا ـ أكثر من أى وقت آخر .

وحسن فعل مجمع الفقه الإسلامى بأن جعل أحد موضوعات الدراسة فى هذه الدورة هو موضوع ظاهرة كراهية الإسلام، وذلك حتى يتسع المجال لعرض الظاهرة وتحليلها وبيان أسبابها ، وكذلك دراسة وسائل مواجهتها .

لذا سنقسم دراستنا إلى ثلاثة أقسام، نتناول فى القسم الأول أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام، ونتناول فى القسم الثانى، أسباب الظاهرة. أما القسم الثالث فسوف نخصصه لتحليل خطاب البابا بندكت السادس عشر والذى ألقاه بجامعة ريجنزبورج فى العام الماضى .

المبحث الأول
أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام فى الوقت الحاضر

إن ظاهرة كراهية الإسلام ليست ظاهرة جديدة وإنما هى ظاهرة وجدت منذ أن بعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم، ووقف له عمه أبو لهب عندما دعى أهله وعشيرته لينبئهم أنه بعث لهم رسول بين يديه عذاب شديد،كان ذلك على جبل الصفا وإذا به يوجه إليه سؤالا استنكاريا : ألهذا دعوتنا تبا لك سائر اليوم ؟ ثم تتوالى ردود الفعل من زعماء مكة، وردود الفعل هذه تمثلت فى تكذيب وتعذيب ومتابعة الرسول ﷺأينما حل، ومتابعة كل من أسلم معه وهذه أمور شُرحت وبُينت بشكل مفصل فى كتب السيرة، وألمح القرآن الكريم والسنة النبوية إلى وقائعها فى كثير من الآيات وفى كثير من الأحاديث .

ونحن نريد فى هذه الورقة أن نناقش مجموعة من المسائل هى :- ما هى أبعاد الظاهرة فى الوقت الحاضر ونعنى بذلك أين توجد الظاهرة وكيف تؤثر على المسلمين فى دولهم وفى المناطق التى يعيشون فيها كأقليات ؟- ثم ما هى أسباب الظاهرة وهل تختلف هذه الأسباب من وقت إلى آخر ؟- ثم ما هى الأساليب المثلى للتعامل مع الظاهرة، وهل ماتلجأ إليه أغلب دول العالم الإسلامى والشعوب الإسلامية فى الوقت الحاضر هو الأسلوب الأمثل ؟ أم أنه توجد أساليب أخرى أجدى منها فى مواجهة الظاهرة ؟

للرد على هذه الانتقادات وماهى الأسباب التى جعلت قوم النبى ﷺ وهم يعرفون صدقه وأمانته يكذبونه ثم يعذبونه هو ومن آمن معه ؟

إن ورقة بن نوفل وضح له أنه سيعذب ويخرجه قومه وكان السبب عنده أن من يأتى بمثل ما أتى به محمد لابد أن ينال العذاب والأذى، إذاً فهى ظاهرة طبيعية ترجع إلى ما جبل الله عليه البشر من كراهية الحق، وكراهية من يدعو الناس إليه .

هذا السبب القديم نجده يتجدد .. ألا ترى نفور الناس الطبيعى حتى اليوم من

التمسك بأهداب الأخلاق ومن أداء فرائض الله، وذلك الميل الطبيعى للانفلات من الفضائل وإيثار الهوى ؟ ألا ترى أنه فى بلد إسلامية كمصر يوجد آلاف الناس يأتون الملاهى الليلية والحانات ويستلذون بإتيان المحرمات ؟ إنه نزوع فطرى إلى الشر، وإلى اتباع الشيطان فى نفوس البشر وسنرصد أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام فى الوقت الحاضر وفقا للأسباب التى يعلنها الغرب ويمكن أن نلخص أهم التهم التى توجه إلى الإسلام والمسلمين فى الآتى :

أولاً: الإسلام هرطقة وأساطير

إن الإسلام ليس دينا حقيقيا وإنما هو هرطقة وأساطير اختلقها الرسول محمد ﷺ وهى تهمة قديمة كان يرددها المشركون فى مكة، يقول تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[الفرقان:٤-٥].

وهذه التهمة لا أساس لها من الصحة لدى أى باحث منصف، ولا يمكن أن يكون نسيج هذا الدين الحنيف الذى يستند إلى كتاب منزل من الله "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" فلا يوجد كتاب آخر من كتب الأديان تم توثيقه مثل القرآن الكريم ولعل نزوله بلسان عربى مبين كان من أهم أسباب قوته؛ فلم يتفرق بين اللغات كما حدث مع الكتب الأخرى التى حرفت، بل لا يعلم كيف ثبت كل منها.(١)

ثانيا: المسلمون جامدون ويعيشون فى غير عصرهم

إن الإسلام اهتم بالرقى والتقدم فى كل مظهر من مظاهر الحياة، وقد أنجبت الحضارة الإسلامية كثيرا من النابغين فى مجالات مختلفة مثل ابن سينا فى مجال الطب والرازى وابن رشد والفارابى والإدريسى وغيرهم من رجال العلم فى شتى مناحى الحياة المختلفة ولم يترك علماء الإسلام مجال من المجالات النافعة إلا وكان

(١) راجع كتاب لغات الرسل والرسالات الذى نشره الإسيسكو عام ١٩٩٣م

لهم فيها السبق، فى الوقت الذى كانت تعيش فيه أوروبا عصر الظلام؛ ولذا فإن الإسلام لم يعرف جمودا ولا تخلف يوما بدليل أن أول آية نزلت على رسول الله ﷺ هى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[العلق:١-٤].

والواقع أن المسلمين قد برعوا فى كل مجالات العلوم، وأيضا كانت لديهم القدرة دائما على الاتصال بغيرهم، واستوعبدوا العلوم والفنون لكل الحضارات التى دخلت الإسلام كحضارة فارس وحضارة الروم الأمر الذى قامت عليه الحضارة الغربية الحديثة .

ثالثا: المسلمون يكرهون الآخر

لقد بدأ الهجوم على الإسلام من هذه الزاوية، التطرف، كراهية الآخر، الانتشار بحد السيف، فى وقت مبكر منذ أن خرج الإسلام من شبه الجزيرة ليعرف ربوع العالم وينتشر فى كل مكان من العالم القديم، خلال خمسين عاما فقط وللأسف كانت حملة أوروبا لتطويق الإسلام وإيقاف نموه وزحفه مواكبة لحملة قام بها المستشرقون للتنقيب فى الإسلام بقصد الإساءة إليه، فليس فى الإسلام ما يدعو لرفض الآخر، بل جاء معترفا بالديانات والكتب السماوية السابقة عليه لقوله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[البقرة:٢٨٥].

رابعا: الإسلام والعنف

من أشد ما يلصق بالإسلام أنه دين عنف، وجوهر الإسلام أنه ينبذ العنف، ولا يجعله طريقا فى الدعوة إليه، أو فى إدخال الناس فيه، وإنما يقوم الإسلام على حرية العقيدة وغيرها من ألوان الحريات التى نص عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة ومارسها الرسول ﷺ والخلفاء على مراحل التاريخ الإسلامى المختلفة، فقد اعتبر القرآن الكريم جريمة القتل والعدوان اعتداء على المجتمع بكامله ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة:٣٢].

فالإسلام يأمرنا بالتعامل برفق ولين وعدالة مع الغير، فهو ليس دينا عدوانيا يسمح بالقتل والتعدى والتدمير، وهو فى نفس الوقت لا يتهاون على الإطلاق مع من يعتدون على الأرواح والممتلكات ويروعون المجتمع .ومن يتأمل الإسلام يوقن بأن هذه التهمة المفتراة يناقضها نصوص الإسلام الكثيرة الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»"رواه مسلم"

ولقد كانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر الدامية التى ضربت الولايات المتحدة بمثابة الفتيل الذى أشعل أزمة الإرهاب والنار التى أصابت المسلمين قبل غيرهم وراحت أصابع الاتهام الخبيثة تشير فى وقاحة وجرأة إلى هذا الدين على أنه دين عنف وإرهاب، وهو من كل ذلك براء .

إن الحرب على الإسلام بدعوة الإرهاب هى حرب ظالمة لا أساس لها من الصحة، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فما عرف الإسلام حربا عالمية أولى ولا ثانية وما كانت محاكم التفتيش صناعة إسلامية وإنما صنعت على أعين الغرب وبأيديهم .

ومن هنا فإن وظيفة العقل فى الإسلام هى إدراك وجود الله وعظمته التى تجلت فى خلق السماوات والأرض، وسائر المخلوقات والتى تتجلى من تقدم العلم وازدياد قدرات العقل البشرى على الإدراك، وأيضا العلم والتعلم والابتكار بما ينفع الناس فى الأرض .

خامساً :دار الإسلام ودار الحرب

اتهام الإسلام بأنه دين حرب يسلط السيف على مخالفيه فى العقيدة اتهام قديم، وجد من تفسيرات مختلفة لعالمية الدعوة، وأيضا لظروف تاريخية ارتبطت بالمقاومة

التى قام بها الرسول ﷺ ضد أعدائه عندما أرادوا أن يقضوا ويجهزوا عليه تماماً ولعل القرآن الكريم يوضح لنا ذلك بجلاء فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

لذا يأتى تصور بأن هناك دار إسلام ودار حرب من هذه الفترة، وهو وصف للواقع الذى بدأته قريش وأعداء الرسول فى بداية الدعوة ؛لذا اضطر الرسولﷺ وهو يقيم دولة المدينة ويصنع مقوماتها فيما عرف باسم الصحيفة أن يميز بين مكة والمدينة، فكل من يعيش فى المدينة له الحقوق الواردة فى الوثيقة فلا تفرقة بين مسلم وغير مسلم، لكن الذين يعيشون فى مكة أعلنوا الحرب على الإسلام؛ لذا فهى يصدق عليها مصطلح أنها دار حرب، أما باقى الديار التى لم تحارب المسلمين أو تعلن العداء عليهم، فهى دار محايدة بتعبير حديث ولا يجوز أن نحاربها و الدار الأخرى التى تتصالح معنا وتسمح لنا بممارسة دعوتنا فى ربوعها، فهى دار عهد وأمان ؛الآن وفى ظل ميثاق الأمم المتحدة تم توقيع كافة الدول عليه بما فيها الدول الإسلامية الحديثة، فإن فكرة دار الحرب قد انتهت، على الأقل فى الوقت الحاضر، وليس بيننا وبين دولة أخرى أى عداء، إلا إذا اعتدت على دولة إسلامية واحتلت أرضها، فإنها تصبح دولة معادية ويجوز أن نقاومها لإخراجها من ديار المسلمين، وهنا نطبق أحكام اتفاقيات جنيف وأحكام القانون الدولى الأخرى التى تجيز المقاومة لتحرير الأراضى المحتلة بكافة السبل، أى بما فى ذلك استخدام القوة .(١)

سادساً :رفض المسلمون للعلوم الحديثة

يتهم أعداء الإسلام وحضارته المسلمين بأنهم متخلفين لا يعرفون الانفتاح على العالم وهم منطويون على أنفسهم لاتسمح لهم عقيدتهم بالخروج عنها إلى مجالات

(١) راجع مؤلف، الصراع العربى الإسرائيلى، نشر رابطة الجامعات الإسلامية، عام ٢٠٠٦م، واحتلال العراق على ضدد الشرعية الدولية، نشر الرابطة عام ٢٠٠٥م .

التقدم والازدهار؛ لذا اتهم الغرب المسلمين بأنهم يتبعون دينا يقوم على الخرافات ويستبعد دور العقل فى تفسير الظواهر وهذا غير صحيح على الإطلاق؛ لأن المسلمين سبقوا الغرب فى اتباع النهج العلمى وابتكار منهجى الاستقراء والاستنباط وهما يقومان على العقل.

إن اتهام المسلمين بالانغلاق والانطواء فرية كبيرة ؛ لأن الحضارة الإسلامية انفتحت على العالم أجمع ونقلت فى الماضى من حضارة الفرس والروم ما لا يتعارض مع قيمها ومثلها، يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن:٣٣].

المبحث الثانى
أسباب ظاهرة كراهية الإسلام

نستطيع أن نعدد العديد من الأسباب التى تجعل الغرب فى هذا الموقف المعادى للإسلام ولكن قبل أن نستطرد فى ذكر هذه الأسباب، يجب أن نسجل بعض الملحوظات المهمة :

أولا: أن الغرب ليس موقفا واحدا فهناك من يفهم الإسلام ويحترمه؛ بل ويجرى العديد من الدراسات والأبحاث التى تبين بشكل موضوعى حقائقه.(١)

ثانيا: أن بعض الغربيين قد دخلوا الإسلام وأيدوه وآزروه وكتبوا كتابات رصينة عنه نتخذها مراجع لكتابنا اليوم،ومن أبرز هؤلاء الكاتب الفرنسى روجيه جارودى والذى ألف مجموعة من الكتب بالفرنسية تم ترجمة أغلبها إلى العربية من أهمها كتاب ترجم بعنوان : أصول الأصوليات المعاصرة، وأمريكا الشيطان الأكبر والأساطير المؤسسة للصهيونية، والدبلوماسى الألمانى مراد هوفمان، والكاتب النمساوى محمد أسد، وكذلك الكاتبة الألمانية آن شمل وغيرهم وغيرهم.

ثالثا: إن الإدارة الأمريكية حديثا جندت بعض المستشرقين لتنظير العلاقة بين الإسلام والغرب على أساس العداء والكراهية، لايقفون فى دراساتهم عند حد الهجوم على الإسلام وتصويره على أنه يحمل فى ذاته خطورة كبيرة على الغرب وعلى الحضارة بشكل عام، وفى مقدمة هؤلاء المستشرق اليهودى برنارد لويس، وهنتجتون، وفوكوياما. الأول لايكتفى بالهجوم على الإسلام وتصويره بالخطر الشديد على الحضارة بل يقرن ذلك بضرورة ضرب الإسلام وتجفيف منابع العنف والإرهاب التى يقم عليها وهو ما فعلته الإدارة الأمريكية -إدارة المحافظين- وجعل العالم كله يشتعل فى شبه حرب عالمية ثالثة لاتبقى ولاتذر .

---

(١) من هذه الدراسات دراسة جون اسبيزتو عن الخطر الإسلامى وهم أم حقيقة، وقد ترجم إلى العربية ونشرته دار الشروق عام ٢٠٠٣، كما تذكر السيدة كارين أرمسترنج التى كتبت كتابات موضوعية ومنصفة عن الإسلام من أهمها كتاب بعنوان "محمد" ترجم و نشر بالقاهرة عام ١٩٩٩م .

ومع ذلك فالمقاومة الإسلامية الباسلة فى العراق وفى فلسطين تلقن الجميع درسا فى الشرعية وضرورة احترام الشعوب . وسنعرض فيما يلى أهم الأسباب التى أججت ظاهرة كراهية الإسلام فى العصر الحديث :

أولاً :التعليم

وأقصد بالتعليم هنا هو تعليم أطفال أوروبا كراهية الإسلام منذ نعومة أظفارهم عن طريق كتب التاريخ المدرسية فلازالت هذه الكتب حتى الآن تمتلىء بالخرافات عن الإسلام وتصوره على أنه دين شعوذة، وأنه فضلا عن ذلك دين يدعو إلى العنف ويكره الآخر[١]، ولا يدرس الدين عادة فى المناهج الدراسية، وإنما يأتى فى كتب التاريخ، ومن الملاحظ أن هذه الكتب تخصص للإسلام حيزا محدودا لا يقارن بما يخصص لدراسة الأديان الأخرى، كما أن كافة المزاعم الباطلة عن الإسلام نجدها فى هذه الكتب مثل أن محمداً ليس نبيا مرسلا إليه وإنما هى دعوة كاذبة، ومثل أنه كتب القرآن بيده وربما بالاستعانة بآخرين، والغريب أن هؤلاء الذين استعان بهم لقيهم مرة أو مرتين أثناء سفره للتجارة مع أعمامه إلى الشام، وأقصد به الراهب "بحيرا" فهل تكفى مقابلة أو مقابلتين عارضتين لتأليف القرآن الكريم من شخص أمى لا يعرف القراءة والكتابة؟! وهل بحيرا وهو أعجمى، يعلم الرسول قرآنا عربيا غير ذى عوج كما يقول القرآن الكريم؟!، وإذا ما كان المقصود بالذى يعلم الرسول ﷺ صهيب الرومى، فإن نفس الرد يساق هنا ونجده مفصلا فى القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل:١٠٣].

وهكذا يتربى الأوروبى منذ نعومة أظافره على كراهية الإسلام وعدم اعتباره دينا صحيحا، وهذا بلا شك من أكبر أسباب كراهية الإسلام فى الغرب .

---

(١) حضرنا ندوة عن المدرسة الإسلامية بمدينة "مدونة" الايطالية وذكر فيها أحد الحاضرين، أنه شارك فى تأليف الكتب المدرسية فى التاريخ وأنه وقع فى العديد من الأخطاء منها : أن محمداً هو الذى ألف القرآن، وأنه وضع رسوما لاعلاقة لها بالإسلام وأبدى استعداده لتصحيحها.

ثانيا: تراث الغرب الثقافى عن الإسلام

هذه الكتب منتشرة بكثرة فى مختلف المكتبات الأوروبية والأمريكية وهى تتحدث عن الإسلام بطريقة مسيئة تشوه صورة الإسلام والمسلمين ومنها كتاب (محمد مؤسس الدين الإسلامى) وهو كتاب لجورج بوش الجد وتكشف قراءة هذا الكتاب عن مصادر المعلومات المغلوطة، التى يعلمها الأمريكى العادى عن العرب والمسلمين، وعن الرسولﷺ والقرآن الكريم ويستند إليه أغلب من يريد مهاجمة العرب والمسلمين، وقد خصصت رابطة الجامعات الإسلامية حلقة نقاشية لمناقشة هذا الكتاب وبيان مساوئه وأفكاره المغلوطة .

ثالثا: النظرة الاستعلائية للغرب تجاه المسلمين

الغرب يتعامل مع المسلمين بنوع من العنصرية وهو يعتقد أنه لابد من الكراهية للأجناس الأدنى، وتكوين فلسفة استعمارية تبرر سيطرة الإنسان الأبيض على بقية الشعوب واعتباره سيدا للعالم وحاملا للحضارة إلى شعوب العالم المختلفة.

رابعا: الخطأ فى الترجمات الغربية

فقد ترجمت بعض الكتب التى تتحدث عن الإسلام وفيها العديد والعديد من الأخطاء، وكانت هذه الأخطاء متعمدة .

خامسا: الإعلام

مما لاشك فيه أن الإعلام يشوه صورة الإسلام، حيث يصف المسلمين بالتخلف والهمجية والإرهاب، والإعلام الغربى يتصيد بعض أخطاء المسلمين وينشرها ويعظمها ويؤكد أن هذا هو الإسلام، فجميع وسائل الإعلام وبخاصة الإعلام السينمائى المرئى يصور المسلمين على أنهم مجموعة من البدو يتسمون بالهمجية والتخلف وأنهم مصدر كل بلاء، فالإعلام بذلك يقدم صورة مشوهة للأجيال التى لاتعرف الإسلام .

لقد كنا فى إيطاليا منذ فترة قريبة وحضرنا ندوة مهمة عن السلام والإسلام وتعرضت الندوة لدور الإعلام فى تشويه صورة المسلمين بعد أحداث (١١) سبتمبر ٢٠٠١م والواقع أن الإعلام استغل هذه الأحداث، وأحداث الاعتداء على قطار للركاب فى أسبانيا، وأحداث أخرى وقعت فى لندن لترديد مزاعم الإرهاب وصب العنف ضد المسلمين ولا زال الإعلام الغربى يكتب بشكل مطول عن هذه الظاهرة وللأسف وجدت تأثير الإعلام قويا إلى الحد الذى جعل رجل الشارع فى أوروبا يربط بين العرب والمسلمين والإرهاب .

والواقع أن من الصعب أن نفسر هذه الظاهرة، إلا أن تكون هناك جهات تمول هذه الحملة وتغذيها بشكل مستمر.

لقد نشرت الصحف الغربية الرسوم المسيئة للرسول ﷺ نقل عن الصحيفة الدانماركية المعروفة كما أشرنا من قبل، وربطت للأسف هذه الحملة بالحديث عن الحريات الأوروبية التى لا يمكن لأحد أن يلغيها وتنكرت تماما لحق آخر من حقوق الإنسان، وهو الحق فى حرية العقيدة وضرورة احترامها فلا حرية مع الضرر.(١)

إن العرب والمسلمين لا يواجهون هذه الظاهرة فى إعلامهم، وللأسف لا يتفقون على تكوين رسالة إعلامية مناسبة للغرب، وهى مسألة يجب أن يتم الوقوف عندها كثيرا، فما يملكه العرب والمسلمون من وسائل الإعلام كثير؛ لكننا لم نوظفه حتى الآن بالشكل الكافى .

سادسا: سلوك بعض المسلمين

لاشك أن سلوك بعض المسلمين خاصة هؤلاء الذين يعيشون فى الغرب، يرتبط بفكر كراهية الآخر، بل والعدوان عليه. يدخل فى ذلك بعض حركات يطلق عليها الغرب حركات الإسلام السياسى .

---

(١) راجع وقائع ندوة نظمتها رابطة الجامعات الإسلامية فى أعقاب نشر الصور المسيئة للإسلام تم نشرها فى مجلة الرابطة ((الجامعة الإسلامية)) وقد أوضحنا فيها حدود الحرية " أنت حر ما لم تضر" وضرورة احترام العقائد باعتبار ذلك من حقوق الإسلام .

وهم يؤمنون بضرورة استخدام القوة للدفاع عن الإسلام، ويعطونه تفسيرات مختلفة لفكرة الجهاد .ورغم أن فى ذلك ردا على فكر غربى يريد سلخ المسلمين عن دينهم وذاتيتهم بالقوة، كما حدث فى الجزائر وفى التاريخ الاستعمارى الحديث بشكل عام؛ إلا أنه فى يقينى أن الإسلام لا يجيز استخدام القوة إلا للدفاع الشرعى عن النفس أو لتأمين حرية العقيدة للناس كافة، أو لنصرة المستضعفين فى الأرض على تفصيلات واسعة لا أرى محل مجال لعرضها الأن.[1]

سابعا :الاستشراق

رغم أن المستشرقين قد أدوا خدمات جليلة للإسلام عندما قاموا بفهرسة التراث وتسهيل الرجوع إليه، كما قدموا مفاهيم جديدة للعديد من القضايا التى قادت الإسلام والمسلمين، إلا أنهم من ناحية أخرى كانوا طلائع الاستعمار والذين مهدوا الطريق أمامه للانقضاض على ديار الإسلام وتمكين القوة الغربية من الهيمنة عليها.

إن تاريخ الاستشراق ليس طريقا سويا فى الأغلب من الحالات؛ لذا فإنهم بلا شك من أسباب تثبيت ظاهرة كراهية الإسلام ونشرها بكافة الطرق.

ثامنا:المصالح الغربية فى إضعاف المسلمين

فالواقع أن هناك كراهية أن يتبوأ الدين الإسلامى مكانة فى نفوس أتباعه وفى السيادة على العالم .إنها كراهية أن ينازع أصحاب القوة والسيادة فى الزمن المعاصر ما سيطرو عليه من موارد وثروات .كراهية التوزيع العادل للثروة وحيازة الفقراء لقدر من الثروة والنفوذ والجاه وكل ما يمكن قسمته فى المجتمعات الداخلية والدولية على حد سواء .

هل يمكن أن نفسر على ضوء ذلك كراهية الاستعمار الغربى والهيمنة الغربية الحديثة اقتراب المسلمين من إقامة بنوك إسلامية واقترابهم بالتالى من حيازة الثروة ؟ ألا يمكن تفسير ظاهرة محاربة شركات الأموال الإسلامية على هذا الأساس ؟

هل يمكن أن نفسر النزوع الغربى إلى تأمين الثروة عن طريق الربا والنظام الجديد

(١) راجع فى ذلك، الحرب والحياد فى الإسلام للمؤلف، نشر رابطة الجامعات الإسلامية عام ٢٠٠١م

له وهو الفائدة التى تدفع إلى تكوين الثروة بحق وبغير حق على هذا النظام الذى يؤمن زيادة دون عمل، وتكديس للنقود لصالح النخبة الحاكمة دولياً وداخلياً وفقا لهذا النظام ؟

لماذا يرفض النظام الدولى أن تكون إيران قوة ذرية ؟!.. لماذا يرفض النظام الدولى أن يكون للدول الإسلامية كرسيا دائما مع الكبار فى مجلس الأمن ؟!.. لقد علق أحد الخبراء الدبلوماسيين ساخرا على قبول اليابان فى النظام الدولى السابق مع تكوين الأمم المتحدة وعصبة الأمم، بأنهم قبلوها عندما هزمت الصين ومنشوريا فى عام واحد وقال: أنتم تقبلوننا الآن على موائد اجتماعاتكم بعد أن تيقنتم أننا قادرون على الذبح مثلكم .إذاً ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة زوجة الرسولﷺ كان يرصد بما علمه الله حقيقة كونية تتجلى دائماً فى صراع مستمر بين الحق والباطل وبين الفضيلة والرذيلة، وإلى نزوع تلقائى لمحاربة الحق، ومحاولة إطفاء نور الله؛ ولكن الغريب فى العصر الحالى، عصر العلم والتقدم فى البحث، أن الأوروبيين ينحازون فى أبحاثهم ودراساتهم نحو الباطل مع إعلانهم دائماً أنهم يسعون إلى الوصول بشكل موضوعى إلى الحق .

هذه مسألة، ومسألة أخرى هى لغة المصالح ومحاولات الإنسان دائما أن يأخذ الجانب الذى يحقق مصالحه فى كل خطوة يخطوها .كانت رسالة الإسلام ثورة على الظلم والطغيان الذى يمارسه السادة وأصحاب القوة والسلطان فى مكة على العبيد والضعفاء .

إن الإسلام جاء ليقوض أركان النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى كان يقوم على الظلم والاستغلال، ألم يكن النظام الاقتصادى يقوم على تسخير هذه الجماعات الضعيفة ويجعلها تكد وتتعب لصالح هذه الجماعات القوية ؟ ألم تكن أموالهم ومراكزهم تأتى من هذا الاستغلال ؟ ألم تكن الدعوة مهددة لبقائهم ولنفوذهم ؟

بلى لقد قالوا للنبى ﷺ بوضوح: ﴿ **لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾[الزخرف:٣١].

فالخوف على المصالح من ضياع مراكز القوة والنفوذ والسلطان، ومن التأثير على القوة الاقتصادية التى تأتى من هذا النظام من الأهداف القوية القديمة والحديثة لمعارضة الرسائل ومن محاربة من يدعون إلى الحق، كذلك الخوف من اهتزاز النظام الاجتماعى والارتقاء بالضعفاء والعبيد وجعلهم فى منزلة السادة من أهم أسباب المعارضة قديماً وحديثا. . لقد أغرى الاستعمار الحديث ما يوجد من موارد للثروة على طول الدول الإسلامية وعرضها، والذى يمثل البترول فى الوقت الحاضر أهمها، ومراكز التحكم فى التجارة الدولية والهيمنة على العالم، أغرى كل ذلك الدول الكبرى بالتواجد القوى فى بلادنا، ولما كان الإسلام يمثل عائقا ضد الخضوع والسيطرة، فلابد من إزاحته عن مركز الصدارة، لا بأس أن يظل إسلاما ضعيفا لا يقوى على المنازلة والصراع والمنازعة، لا خوف من أن يكون إسلام بلا قوة ولا بأس أن يتواجد دون أطماع سياسية للحكم والسيطرة والعلو فى الأرض، بعبارة أخرى يمكن أن يقبل إسلام للعبادة بالمعنى الضيق، أى لا مكان له بالسيادة ولا بالقوة فى الأرض، أما أن يكون إسلام سياسى بتعبير حديث يكون للدنيا والآخرة، وينازع الأقوى فى مكانته فلا يمكن قبوله، بل هنا يقال: لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين، ويقال أيضا دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

المبحث الثالث

الانتقادات التى وجهها البابا بندكت السادس عشر للإسلام والرد على هذه الانتقادات

مما يؤسف له أن البابا بندكت السادس عشر فى محاضرته التى ألقاها فى جامعة ريجنز بورج بألمانيا عن العلاقة بين الإيمان والعقل فى هذه الجامعة اللاهوتية وإذا به يقحم الإسلام فيها بعبارات مُسيئة تدل على أنه لم يدرس الإسلام ولم يفهمه.والعبارة منقولة من كتاب أصدره الأستاذ عادل خورى وهو لبنانى الجنسية ويشرف على إصدار موسوعة تحت عنوان "المسيحية والإسلام فى الحوار والتعاون" هو وقسيس آخر يدعى ميشيل باسيل عون[١].

والأستاذ خورى هو الذى أورد الحوار الذى دار بين القيصر البيزنطى مانويل الثانى وبين أحد المثقفين المسلمين عام ١٣٩١م أى فى أواخر القرن الرابع عشر.وننقل من هذا الحوار ما أثار اهتمام البابا، وجعله يحكم على الإسلام بأنه قرين الإرهاب، فالقيصر مانويل الثانى يسأل محاوره "أرنى الجديد الذى جاء به محمد؟ إنك لن تجد إلا أشياء شريرة وغير إنسانية مثل أمره بنشر الدين الإسلامى بحد السيف، وهذا أمر يتناقض مع جوهر الله وجوهر الروح".

الأستاذ خورى يتقن الألمانية ويكتب بها والبابا بندكت السادس عشر ألمانى قرأ كلام خورى بالألمانية، ويعتمد عليه، رغم أن العديد من المفكرين الألمان كتبوا بالألمانية ولم يكلف سيادته وهو الأستاذ الجامعى بأن يرجع إلى أى منهم، رغم أن بعضهم

(٨) تنشر هذه الموسوعة المكتبة البوليسية بجونية،لبنان، والعدد الأول فيها صدر بعنوان "العدل فى المسيحية والإسلام" وشارك فى الكتابة فيه من المسلمين الدكتور محمود حمدى زقزوق، والدكتور رضوان السيد من لبنان والدكتور سعود المولى. ثم توالت الأعمال فى هذه السلسلة بعد ذلك. وبعض ما ينشر فيها عن الإسلام حسن وطيب والكثير منها شىء من النوع الذى يمكن أن يطلق عليه "دس السم فى العسل" فقد انتقد بشدة نظام الذمة واعتبره يقوم على التمييز بين المسلمين وغير المسلمين، مع أنه فى نفس الوقت انتقد الموقف المسيحى الذى يربط الإسلام والإرهاب فى المرجع الأول الذى أشرنا إليه.

منصف بل ودخل الإسلام عن قناعة كاملة، مثل الأستاذ مراد هوفمان. وبالنسبة لهذه التهمة القديمة والحديثة على السواء بشأن أمر الله نبيه أن ينشر الإسلام بالسيف فإننا نرد عليها بالآتى:

أولا: العقيدة أمر داخلى يتمثل فى علاقة بين الإنسان وربه فهى شىء فى القلب وبالتالى لا يمكن أن تفرض وإنما الله سبحانه وتعالى يتجلى بها على عباده فيؤمنون بها، وهناك مظاهر لها،لكن المهم هو الجوهر وهى مسألة لا تفرض بالسيف ولا بغير السيف ـ لذا ينبهنا الإسلام بوضوح إلى هذا المعنى بقوله تعالى ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ**﴾[البقرة:٢٥٦] ، كما يقول تعالى﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾[]الكهف: آية ٢٩]، وهكذا نجد آيات كثيرة فى القرآن الكريم بنفس المعنى.

ثانيا: الممارسة العملية ترى أن الرسول ﷺ لم يكره أحداً على الدخول فى الدين، وإنما كان يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة،وسأورد هنا أقوالا لمنصفين غربيين فطنوا إلى هذه الحقيقة وشهدوا بها بوضوح. وسأبدأ برأى عادل خورى نفسه ــ والذى نقل البابا الحديث الذى أشرنا إليه فى البداية ــ فى كتاب "العدل فى المسيحية والإسلام" يقول: "هناك مسيحيون يميلون إلى اعتبار المسلمين المتعصبين الذين يدعون إلى الجهاد وتربط وسائل الإعلام بينهم وبين عمليات الإرهاب، كالممثلين الحقيقيين للإسلام. ويغفلون عن الأكثرية فى العالم الإسلامى التى تحب السلام وتدعو إليه. وهكذا يتم دوما الربط بين الإسلام والسيف".

كذلك يقول الكاتب الإنجليزى توماس كارليل (إن اتهامه ــ أى سيدنا محمد ﷺ ــ بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا لحرب على غيرهم قبل أن يقدروا عليها". كما تنبه العديد من الكتاب الغربيين إلى ذلك نذكر منهم: جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام فى عهده وفى عصور الفتوحات من بعده ـ "قد أثبت

التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها،وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار فى الهند ــ التى لم يكن العرب فيها غير عابرى سبيل ــ ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها..

ولم يكن الإسلام أقل انتشارا فى الصين التى لم يفتح العرب أى جزء منها قط، وسترى فى فصل آخر سرعة الدعوة فيها، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليونا فى الوقت الحاضر". (١)

والواقع أن القراءة المتأنية لآيات الكتاب الكريم ولسيرة النبى محمد ﷺ ترينا كيف أن الإسلام بعيد عن هذه التهمة.أما الهجوم الجديد الذى قد لا نراه كثيرا فى الكتابات السابقة وإنما ركز عليه البابا بندكت السادس عشر فهو ما يتصل بأن المشيئة الإلهية فى الإسلام منقطعة عن الفعل، وأن تصرفات الله سبحانه وتعالى لا تخضع للعقل ولا للمنطق وهذه فرية كبيرة،وقد اعتمد فيها البابا على ما قرره خورى (إن الله فى العقيدة الإسلامية مطلق السمو ومشيئته ليست مرتبطة بأى من منقولاتنا ولا حتى بالعقل". ويدلل خورى على ذلك بما نقله عن مستشرق آخر (أرنالدز) على لسان ابن حزم الذى يزعم أن الله لا يتقيد حتى بكلامه، وأنه لا يجب عليه أن يوحى إلينا بالحقيقة، وإن أراد جعل الإنسان عابدا للأصنام.

والواقع أن هذه الفرية ليس لها أى أصل فى الإسلام وإنما هى فى جوهر الأديان الأخرى وخاصة المسيحية حيث عبر عن ذلك القديس النصرانى "أنسليم" بقوله إن الإيمان لا يحتاج إلى إعمال عقل".إن العقل فى الإسلام هو أساس التكليف، ولا تقبل عبادة فيه إلا من عاقل، بل لابد من كمال العقل لقبول العمل. يصدق هذا على الدخول فى الإسلام نفسه فيجب أن يكون من يريد الدخول فى الإسلام عاقلا، ومن يؤدى الصلاة عاقلا، وكذا فى سائر الفروض والتكاليف؛ لذا يرفع التكليف عن

(١) هذه الإحصاءات قديمة وعدد المسلمين الآن فى الهند يزيد عن مائتى مليون؛ لذا يرون أنهم أكثر الدول الإسلامية، وكذلك المسلمين فى الصين تضاعف عددهم الآن وأصبحوا كيانا له أهميته .

المجنون والنائم وكل من فقد عقله.من ناحية ثانية نجد أن المعجزات التى أتى بها الأنبياء السابقون كانت معجزات مادية. أما معجزة الإسلام الخالدة فهى تقوم على العقل. القرآن الكريم يحتاج إلى التدبر والتفكر فى آيات الله المنظورة والمسطورة على حد سواء.

ونجد الإمام محمد عبده يعبر عن ذلك بوضوح فى قوله "إن العقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة"،كما يقرر أن الإسلام دعا الناس إلى النظر فى العقيدة بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل وجعلته القاضى فيها، وأطلقت له حق النظر فى أنحائها، ونشر ما انطوى فى أثنائها، وأننا إذا قدرنا عقل البشر قدره، وجدنا غاية ما ينتهى إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى"[1].

والواقع أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بكل الفضائل التى تتفق مع العقل والمنطق، وقد احترم الإسلام العقل الإنسانى وجعله فى أعلى منزلة وأرفع مكان، وجعل الإنسان الذى لا يستخدم عقله بمنزلة إنسان قد تنازل عن إنسانيته، وجعل عدم استخدام العقل الإنسانى خطيئة كبرى سوف يسأل عنها الإنسان يوم القيامة.والله قد بين لنا فى القرآن الكريم أنه خلق كل شىء بقدر، وأن كل ما فى السموات والأرض يسير وفق سنن كونية.وأن كل خلق الله مرتبط بحكم بالغة. وقد دعا القرآن الكريم الناس إلى النظر فى الكون ودراسته والتفكير فى آيات الله وفى العالم وفى الإنسان.

وأما أن إرادة الله وعلمه وحكمته لا تحدها حدود فهذا أمر منطقى؛ لأنه هو نفس الخالق،ولكن المسلم لا يفهم من ذلك مطلقا أن تصرفات الله لا تتفق مع العقل

(١) راجع الأعمال المتكاملة للشيخ محمد عبده، وراجع المؤلف الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية بعنوان حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين، والذى أشرف على إصداره والتقديم له أ.د. محمود حمدى زقزوق وعلى وجه الخصوص دراسات الدكتور محمد عمارة ص٤٠٠ بعنوان الشبهة الرابعة والستون حول تناقض النقل ـ القرآن ـ مع العقل والدراسة التى كتبها أ.د. على جمعة بعنوان : الشبهة الخامسة والستون، الإسلام انتشر بالسيف ويحبذ العنف ٤٠٨ .

والمنطق.وفى ضوء هذه التعاليم القرآنية سار علمـاء المسلمين، فحجة الإسلام الغزالى يقول:"العقل أنموذج من نور الله". ويقول الجاحظ: إن العقل وكيل الله عند الإنسان. كـما قـرر علمـاء التـوحيـد أن النظر العـقلى يعـد أول واجـبات المسلم فـى مسـائل الاعتقاد.وقد اطلع المسلمون على الفلسفات القـديمة ومنها اليونانية وناقشوها مناقشة عقلية وصانوها مـن الضياع، وقد تعرفت أوروبا على الفلسفـة اليونانية لأول مرة عن طريق العلماء المسلمين من الترجمات العـربية.واعتمدت أوروبا على آراء الفيلسوف العظيم ابن رشـد بصفة خـاصة فى دعم الحركـة العقليـة التى مهدت لعـصر النهـضة الأوروبية لما عرفوه لديه من تقدير لا حد له للعـقل والمعقول.ومع هذا الاعتداد بالعقل والمعقول فإن المسلمين لـم ينسوا أن الله هو الخالق الأعظم مالك الملك، وأنه هو الذى وهبهم العقل ولكنه لم يسلبـهم الإرادة بل حملهم المسئولية بجعله الإنـسان خليفة له فى الأرض ليعمرها بالعلم، ولا علم بدون عقل.

والواقع أن هناك ملابسـات عديدة قد أحاطت بمحـاضرة البابا أولها أنه قـالها فى ذكـرى العدوان على الـولايات المتحـدة وفى الاحـتفـالات التى جـرت فى الولايات المتحـدة وغيرها فى الحـادى عشر من سـبتمـبر، فهل نبـاعد بين الغرض السـيئ للبابا وخطابه فى هذه المناسبة؟ معروف أن هذه الواقعة نحت بالتاريخ منحى جديدا جوهره الهـجـوم عـلى الإسـلام ونبـيـه واتهـام المـسلمـين بالإرهاب وبحـب العنف ورفض الآخرين، فماذا يريد البابا من التذكير هنا وفى هذه المناسبة بدعاوى قيام الإسلام على السيف، وعـدم احترامـه للعقل؟إننا قدمنا ردا هادئا على هاتيـن الدعويين، ولكن من الواجب علينا كـمـسلمـين أن نظل ندعـو إلى الله على بصيـرة وبالحكمـة والموعظة الحسنة، وأن نبين فضائل الإسلام وغلوه على كل ما يراد به النيل منه .

❊ ❊ ❊

خاتمة:

استعرضنا فى هذه الدراسة ظاهرة الإسلام فوبيا وبينا فى المبحث الأول التعريف بالظاهرة وأبعادها فى الوقت الحاضر، وبينا كيف يتهم الغرب الإسلام والمسلمين بحب العنف والميل لاستخدام القوة والتشبث بالخرافات وكراهية العلم، وأخطر مايوجه إليهم هو شنهم حربا لا هوادة فيها على كل من يخالفهم فى الدين أو يعارضهم .

وعرضنا فى المبحث الثانى الأسباب الحقيقية لظاهرة كراهية الإسلام وهى التعليم، تعليم الأطفال فى الكتب المدرسية التى تدرس لهم كراهية الإسلام، وأنه ليس دينا حقيقيا وإنما هو هرطقة وشعوذة من قبيل الخرافات، وأن القرآن الكريم ليس وحيا وإنما هو أسطورة من أساطير الأولين أعانه على اختلاقها ((بحيرا)) الراهب على قول، وصهيب الرومى على قول آخر، كذلك يلعب الإعلام الدولى دورًا كبيرا فى تأجيج الأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين ووصفهم بما ليس فيهم، وهناك جهات تسهم بالتمويل لهذا الفكر المنحرف لهذه الحملات الكاذبة ضد الإسلام والمسلمين وألمحنا أيضا إلى دور المستشرقين فى نشر الحملات الكاذبة عن الإسلام قديما وحديثا ومن هذه الأسباب كذلك إبقاء الإسلام خاملا لا يصل بأهله إلى مراكز القوة والنفوذ فى العالم، وإبعاده عن الاقتراب من المراكز التى تتحكم فى الاقتصاد الدولى، وألمحنا أيضا إلى دور بعض المسلمين فى تكوين ظاهرة كراهية الإسلام .

وقد عرضنا فى المبحث الثالث محاضرة البابا بندكت السادس عشر التى اتهم فيها الإسلام بالانتشار بالقوة، والتعارض مع العقل، وقلنا إن هاتين التهمتين لا أساس لهما من الصحة، وبينا الدوافع التى ساقته إلى هذه التهم، وبينا أن الإسلام قام على العقل واحترامه وجعله أساس التكليف ومناط المسئولية .

إن ظاهرة الإسلام فوبيا ظاهرة خطيرة وخطرة فى نفس الوقت وينبغى تكثيف جهود الدول والمنظمات والجامعات الإسلامية لمقاومتها بكافة الوسائل، ومن ذلك النشر بوسائل الإعلام المختلفة، والاستمرار فى محاولات تصحيح المعلومات المغلوطة فى الكتب المدرسية، مع تنظيم حملات إعلامية قوية تعبر عن روح الإسلام وتشرح حقائقه لكل الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المصادر والمراجع

١- المسلمون والآخر أسس لتبادل الحوار والتعاون السلمى - دكتور جعفر عبد السلام- دكتور أحمد السايح.

٢- أحداث ١١ سبتمبر وتداعياتها الدولية - مطبوعات رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٢م.

٣- أحكام الحرب والحياد فى ضوء القانون الدولى والشريعة الإسلامية - دكتور جعفر عبدالسلام .

٤- الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة دكتور محمد خليفة حسن .

٥- الإسلام وحوار الحضارات - مطبوعات رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٢م .

٦- ندوة التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل- ١٩٩٧ م .

٧- مجلة الجامعة الإسلامية - عدد ٤٠- ٢٠٠٧م .

٨- نظام الدولة فى الإسلام - دكتور جعفر عبد السلام.

٩- الأعمال المتكاملة للشيخ محمد عبده .

١٠- حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين -المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١١- دراسات الدكتور / محمد عمارة ص ٤٠ بعنوان الشبهة ال ٦٤ حول تناقض النقل .

١٢- مع العقل والدراسة أ. د على جمعة بعنوان : الشبهة الخامسة والستون- الإسلام انتشر بالسيف ويجيز العنف .

١٣- الصراع العربى الإسرائيلى، نشر رابطة الجامعات الإسلامية، عام ٢٠٠٦م، واحتلال العراق على صدد الشرعية الدولية، نشر الرابطة عام ٢٠٠٥م.

١٤- الحرب والحياد فى الإسلام للمؤلف، نشر رابطة الجامعات الإسلامية .